الفصل الأول

الفلسفة المثالية

تُعد الفلسفة المثالية أقدم نظام فلسفى فى الثقافة الغربية، واشتقت المثالية من المثل، وقد عرف البعض المثل بأنها « عبارة عن الأفكار التى تكمن وراء كل طائفة من المحسوسات كمقال الخير والحق والجمال والعدل والإنسانية... إلخ، وأما الوجود فى العالم الحسى فمفردات هذه المثل التى يحاول كل منها أن يتشبه بمناله أو يقترب منه بقدر الإمكان ».

ومن الملاحظ أن الفلسفة المثالية- كما يشير المربون والباحثون- انبثقت من نظام اجتماعى ساد أثينا القديمة، وهو نظام أساسه تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، فمنهم العبيد والعمال، ومنهم طبقة المحاربين، ومنهم طبقة الأحرار التى تكرس حياتها لشئون الثقافة والفكر، ومن هنا جاءت التربية الحرة أى التى تلائم الأحرار والتى تبعد عن كل ما يتصل اتصالاً مباشراً بالعمل.

وتشير الدراسات إلى أن هناك نوعين من الفلسفة المثالية يمكن إجمالها على النحو التالى:

- المثالية الأفلاطونية وتسمى المثالية المفارقة أو المثالية القديمة.
- المثالية الحديثة بما فيها من مذاهب من مثالية ذاتية أو تصورية لا مادية، عند « باركلى »، ومثالية موضوعية نقدية عند « كانت »، ومثالية مطلقة لدى « هيجل ».

ومن الملاحظ أن هاتين النظريتين الرئيسيتين المثالية الأفلاطونية المفارقة والمثالية الحديثة أو الذاتية أو التصورية تتفقان فى اعتبار الفكر مستقلاً عن الموضوعات والأشياء، ذلك أن الأفلاطونية تجعل عالم المثل هو العالم الحقيقى

المستقل عن الأشياء المحسوسة، ومن ثم معرفته بالفكر أو العقل أو التذكر لهذه المثل هو أمر مستقل عن المعروضات المحسوسة التى هى أشياء وأشباح الموجودات الحقيقية وكلتاها ترد كل ما هو فى الواقع إلى الفكر أو ترد ما فى الأعيان إلى الأذهان.

كما يرى البعض أن الفلسفة المثالية تنقسم إلى:

* المثالية الأفلاطونية ويمثلها « أفلاطون » *Plato* (٤٢٧-٣٤٧ق.م).
* المثالية الدينية ويمثلها « أوغسطين » *Augustine* (٣٥٤-٤٣٠م).
* المثالية الحديثة، ويمثلها:

- رينيه ديكارت *Rene Descartes* (١٥٩٦-١٦٥٠م)
- جورج بركلى *George Berkely* (١٦٨٥-١٧٥٣م)
- إيمانويل كانت *Immanual Kant* (١٧٢٤-١٨٠٤م)
- هيجل *George Wilhelm Friedrick Hegal* (١٧٧٠-١٨٤١م)
- روبس *Josiah Royce* (١٨٥٥-١٩١٦م)

يتضح من ذلك أن هناك العديد من الرواد لهذه الفلسفة، ومن هنا كان لابد من الإشارة إلى هؤلاء الرواد.

رواد الفلسفة المثالية *Idealism Philosophy*

يشير المربون والباحثون أن الفلسفة المثالية لها الكثير من الرواد، فـيرون أن رواد الفلسفة المثالية هم:

- سقراط، أفلاطون، بيركلى، فختـه، هيـوم، هيجـل، كانـت، شوبنهاور، سبينوزا، ممثلين للمثالية رغم الاختلاف الكبير منهم.
- كومنيوس، بستالوتزى، فروبل، ممثلين للتربويين المثاليين.

ويرى البعض أن رواد المثالية هم:

١- أفلاطون، فيلسوف إغريقى (٤٥٧-٣٤٧ق.م)

٢- كانت، فيلسوف ألمانى (١٧٢٤-١٨٠٤م)

٣- هيجل، فيلسوف ألمانى (١٧٧٠-١٨٣١م)

٤- فروبل، فيلسوف ألمانى (١٧٧٢-١٨٥٢م)

٥- وليام هاريس، فيلسوف أمريكى (١٨٣٥-١٩٠٩م)

ويرى البعض أن رواد المثالية هم: أفلاطون، كومنيوس، بستالوتزى، فروبل، جبوفانى، جنتيل، بندتو، بول جيهيب، فيكتوركوزان، نن، رويس، هورن.

أما البعض فيرى أن رواد المثالية هم:

- أفلاطون *Plato*.
- رينيه ديكارت *Rene Descartes*.
- سبينوزا *Baruek Spinoza*.
- ليبز *Gattfried Wilhalm Von Leibniz*.
- بركلى *George Berkely*
- إيمانويل كانت *Immanual Kant*.
- هيجل *George Wilhelm Friedrick Hegal*.
- كولبردج *Samuel Taylor Coleridge*.
- رويس *Josiah Royce*.
- هورن *Herman H. Horne*.

يتضح مما سبق أن هناك العديد من رواد الفلسفة المثالية الذين ساهموا بفكرهم وآرائهم فى التربية. ولما كان من الصعب القيام بدراسة آراء كل هؤلاء الرواد فى تربية الطفل، لذا فإنه سيتم تناول آراء أفلاطون باعتباره المؤسس الحقيقى لهذه الفلسفة، ولأن هناك إجماع من المربين على أنه أبو المثالية، ومن هنا كان لابد من إلقاء الضوء عليه.

❁ أفلاطون:

يقال أن له أسماء عدة هى: فلاطن، وأفلاطن، وفلاطون، وأفلاطون. ويرى البعض أن اسمه الحقيقى « أرسطوكليس »، ثم لقب بلقب اشتهر به وهو « بلاتون » التى تطلقها العرب « أفلاطون » ومعناها العريض، ولما كان هذا الفيلسوف عريض الوجه، مبسوط الكتفين، فقد دعاه معاصروه بأفلاطون.

كما أن هناك خلاف فى تاريخ مولده ووفاته، فالبعض يرى أنه ولد عام (٤٢٧ق.م) والبعض يرى أنه ولد فى عام (٤٢٩ق.م)، وتوفى عام (٣٤٦ق.م) والبعض يرى أنه توفى عام (٣٤٧ق.م). وإن كان أغلب الباحثين والكتاب يرون أنه ولد فى عام (٤٢٧ق.م) وتوفى (٣٤٧ق.م).

وقد ولد « أفلاطون » فى مدينة « أثينا » وينتمى إلى أسرة أرستقراطية، وتتلمذ على يد « سقراط » وهو فى سن العشرين، حيث لازمه نحو ثمانية أعوام كان فيها من المقربين لديه يستمع إلى مناقشاته ومحاوراته ويدون الكثير من آرائه، ومن هنا كان تأثير أفلاطون بأستاذه « سقراط » فى الكثير من آرائه الفلسفية والتربوية.

كما أنه عاش فترة من حياته الأولى شاهداً على الاضطراب، وسوء الأحوال الداخلية والفتن والحروب المشتعلة بين دولة « أثينا » وبين الشقيقة اليونانية « أسبرطة » والتى كان هدفها تخليص البلاد من الفوضى، ولكنها أخفقت فعمدت إلى العنف والجور والبطش. وقد تأثر « أفلاطون » بهذا الجو السياسى من حيث الديمقراطية التى أشاعت الفوضى والأرستقراطية التى أحدثت الظلم، ولذلك اعتزل « أفلاطون » الشئون العامة واتجه إلى الدراسة، وقد كان « أفلاطون » يحب الترحال، فيذكر التاريخ أن أفلاطون ذهب إلى « مصر » طلباً للدراسة والعلم ضمن جولة إلى بلاد البحر المتوسط استمرت اثنى عشر عاماً عاد بعدها لينشئ الأكاديمية، وجلس بها يعلم الناس بلا مقابل، واختار من بين تلاميذه ثمانية

وعشرين كان يلقنهم الدروس فى بعض الأحيان فى منزله الخاص وكان من بينهم « أرسطو ».

وقد كان « أفلاطون » واسع الإطلاع، وكان ملماً بكل مؤلفات الفلاسفة القدماء وأقوالهم وأخبارهم، وكان حماسه للعلم شديداً لم يفتر طوال حياته، وعنى عناية خاصة بعلوم الهندسة والفلك والمنطق والسياسة والقانون والأخلاق وقد تعلم « أفلاطون » من تجربة الحياة كثيراً.

كما اتصف « أفلاطون » ببعض الصفات الشخصية والتى كانت من عوامل نبوغه وتفوقه، فقد كان « أفلاطون » حاد الذكاء عميق الفكر حسن الحديث، بارع النكتة، وكان محباً للجمال فى كل شئ فى أسلوبه وفى زيه، وفى كل ما يختاره، ولم يكن زاهداً، كما لم يكن مسرفاً، فهو يحب الطعام والشراب والصحبة الحسنة، ولم يتزوج قط، مع أنه عاش حتى بلغ الثمانين من عمره، ويرجع السبب فى ذلك إلى عشقه الفلسفة وانقطاعه انقطاعاً تاماً لمسائلها، ومحاولة بلوغ الحقيقة عن طريقها.

ويرى « الأهوانى » أن « أفلاطون » تعلم كغيره من صبيان الإغريق القراءة والكتابة وحفظ شعر « هومبروس » ومبادئ الحساب والهندسة، والموسيقى، وأنه تعلم الغناء والعزف على القيثارة وكذلك الألعاب الرياضية.

يتضح من ذلك أن هناك الكثير من المؤثرات التى أثرت على فكره وآرائه، وقد حددها بعض الباحثين فى:

- الحرب الدائرة بين أسبرطة وأثينا قبل مولد « أفلاطون » بأربعة أعوام واستمرت خمسة وعشرين عاماً، والتى عاصرها، وانتهت بعد أن كان عمره واحد وعشرين عاماً، وقد ترتب على هذه الحرب أن فقدت فيها أثينا منزلتها بين الولايات اليونانية، وتعرضت من جرائها للدمار والتخريب والظلم، وقد

تأثر « أفلاطون » من كل هذه التجارب والتى ظهرت آثارها واضحة فى آرائه فى كتابه « الجمهورية ».

- نشأة « أفلاطون » الأرستقراطية، وكراهيته للديمقراطية، وانقطاعه للعلم وبعده عن السياسة، جعل فلسفته اقرب للخيال منها إلى الواقع، وكانت آراؤه فى المدينة الفاضلة صعبة التحقيق برغم أنها تهدف إلى إصلاح الحياة والمجتمع الأثينى.
- حقده وكراهيته للديمقراطية بعد هزيمة أثينا، ومحاكمة أستاذه « سقراط »، وإعدامه، واعتقاده أن خير المجتمع إنما يتحقق عن طريق تولى الفلاسفة مقاليد الحكم.

ويضيف بعض الباحثين إلى ما سبق بعض العوامل التى أثرت فى فكره، والتى تتمثل فى:

- تأثر « أفلاطون » بالتعليم المصرى القديم وبتطبيقاته فى الحياة الاجتماعية، وفى النظام التعليمى، حيث تتلمذ فى جامعة « عين شمس » القديمة فى مصر.
- تأثره بالفكر والتراث الشرقى بوجه عام بما فيه من تراث دينى، ولعل فى نظرته إلى الدين ما يثبت ذلك فهو يؤمن بإله واحد يجزى ويحاسب ويعاقب، وتأثره بأهمية الدين فى تربية الأطفال.

ويتضح مما سبق أن آراءه « أفلاطون » وأفكاره جاءت نتيجة للعوامل السياسية والاجتماعية التى عاشها، وأيضا انفتاحه على العالم الخارجى، والاستفادة من أفكار الآخرين، مما جعل لأفلاطون مكانة خاصة فى الفكر التربوى وصاحب مذهب فلسفى خاص تميز به عن غيره، ونظراً للمكانة التى تبوأها « أفلاطون » بين الفلاسفة والمفكرين كان لابد من إلقاء الضوء على هذه المكانة.

مكانة أفلاطون:

ترجـع مكانـة « أفلاطـون » وأهميتـه بـين رجـال الفكـر الفلسـفى والتربـوى بالإضـافة إلى أنـه صـاحب الفلسـفة المثاليـة، إلى أنـه أول مـن كتـب عـن العلاقـة الوثيقة القائمة بين التربية والمجتمع، فسلامة المجتمع بل سلامة الإنسانية كلها تتوقف فى رأيه على سلامة التربية التى يقدمها المجتمع للأفراد.

كمـا أن لـه العديـد مـن المؤلفـات أهمهـا كتـاب « الجمهوريـة » وكتـاب « القانون »، ويعد كتابه « الجمهورية » أول كتاب وضع فى التربية فى عالم الغرب، وقد أشاد كثير من الكتاب والمربين بكتاب « الجمهورية » فقد وصف « جان جاك روسو » (محاورة الجمهورية) بأنها أجمل سفر فى التربية خرج من يد بشر، إذ أنها قدمت لنا منهاجاً متكاملاً لتربية طبقة الحكام والحراس، اهتمت فيه بالعقل والجسد، وجمعت بين المثال والواقع فى توازن عجيب، وتحديد دقيق، ويستوعب الحياة من مهدها إلى لحدها، ويستهدف تهذيب النفس ومحبة الجمال، وصولاً إلى الخير الأعظم وحقائق الوجود العليا.

ويرى البعض أن « الجمهورية » تعد من الكتب التى يصعب تصنيفها تحت أى علم من العلوم الإنسانية الحديثة، ففيها ما يمس كل نواحى فلسفة « أفلاطون » تقريباً، كما أن مادتها من الاتساع ما يمكن معه القول بأنها لم تترك جانباً من الحياة الإنسانية إلا وعالجته.

كما يرى البعض أن « الجمهورية » يعد أعظم المحاورات كلها، لأنها أكمل عرض لفلسفته وهى صراع مسرحى بين الأشخاص والآراء، تناول فيها موضوعات مختلفة منها العدالة بالنسبة للفرد، وبالنسبة للدولة ونظم التعليم، وحكم الفلاسفة، ومصير الإنسان وخلود النفس.

من هنا يمكن القول أن « أفلاطون » احتل مكانة هامة بين المفكرين نتيجة ما قدمه من مؤلفات عديدة، وأيضاً فكره الذى تميز به، فمن الواضح أن « أفلاطون » بنى أفكاره على أساس نظرة ثنائية، وقد وضحها البعض وذلك على النحو التالى:

إن العالم فى نظره يتكون من عالمين عالم واقعى يحيط بنا ونعيش فيه ونمارس نشاطنا، ونستخدم حواسنا، وهو عالم مادى من أهم خصائصه أنه متغير، والأشياء فيه ليست ثابتة ولا مستقرة بل تخلق لتنمو ثم تضمحل وتفنى، وعالم سماوى يمتاز بالثبات والاستقرار وعدم تغير وتبدل ما فيه من أشياء.

وكما نظر « أفلاطون » إلى العالم نظرة ثنائية فإنه نظر إلى الطبيعة الإنسانية كذلك، فالإنسان يتكون من عنصرين أساسيين ليست بينهما صلة أو ارتباط، وهما العقل، والجسم، فالعقل أو الروح كانت موجودة أزلياً فى عالم المثل أو عالم الأفكار أو العالم السماوى قبل أن تهبط وتلتحم بالجسم عند الولادة، فالأفكار فطرية وكامنة عند الأطفال يولدون وتولد معهم، ولكى تصل الروح إلى المعرفة والحقيقة التى احتجبت عنها بنزولها من عالمها، عليها أن تتذكر وتسترجع ما كانت تعرفه مستعينة فى ذلك بالعقل.

وبعد إلقاء الضوء على رائد الفلسفة المثالية الأول وهو « أفلاطون » سيتم تناول الأسس التى تقوم عليها الفلسفة المثالية وملامحها التربوية.

الأسس التى تقوم عليها الفلسفة المثالية:

الباحث فى التربية يلاحظ أن الفلسفة المثالية رغم تعدد حدودها وأشكالها إلا أنها تؤكد على أن الروح أو العقل هى الحقيقة الأولى للوجود.

ولما كانت المثالية تؤمن بفكرة الثنائية، فإنها تميز بين عالمين. عالم الروح، وعالم المادة. وترى أن أهم شئ فى الإنسان هو عقله أو روحه التى وظيفتها المعرفة، وأرقى أنواع المعرفة وهى المعرفة الفطرية التى يمكن أن يصل إليها الإنسان عن

طريق التأمل والفكر، أما النشاط العملى فمرتبته أقل من مرتبة الفكر النظرى، لأن الغايات التى يستهدفها غايات مادية.

وإنطلاقاً من ذلك فقد حدد بعض المربين الأسس التى تقوم عليها الفلســـفة المثالية، وذلك على النحو التالى:

١- وجود الإنسان فى هذه الحياة يرتكز تماماً على العقل.

٢- جميع الأشياء الحقيقية تأتى من العقل.

٣- أن الإنسان يترجم ويحلل كل شئ بواسطة العقل.

٤- أن الإنسان أهم من الطبيعة.

٥- أن القيم الخلقية لا تتأثر بسلوك الأفراد فهى ثابتة لا تتغير حسب الظروف.

٦- أن الإنسان لديه الحرية فى أن يختار بين الصواب والخطأ.

٧- العقل يعد القوة الأساسية التى تساعد الإنسان على تكشف أسرار الكون، ويمكن استخدام المنطق والتحليل إلى جانب الأسلوب العلمى لكشف أسرار الكون.

٨- الواقع أو الحقيقة تكون روحية وليست مادية.

٩- العقل والروح أكثر أهمية من الكيان المادى متل الموضوع والجسم.

١٠- الإنسـان أكثـر إبـداعاً عنـدما يمتلـك كرامتـه وتميـزه، ولـذا يجـب أن تعظـم شخصيته، كما أنه يمكن القول أنه يجب أن يجاهد الفرد من أجل إثبات ذاته.

١١- حرية العقل البشرى يعد فضيلة علياً ذات قيمة، وتتمثل وسائل حريته فى الحرية من الجهل والرغبات والهوى.

١٢- وجود ثلاث فضائل (قيم) روحية رئيسية، والتى تسمى الصدق والجمال والصلاح.

١٣-التنمية الروحية تكون قمة الوجود الإنسانى.

١٤- معرفة الواقع الروحى يعد أفضل معرفة.

١٥- أن الروح والعقل تكونان الحقيقة.

١٦-الله هو مصدر كل المعرفة.

١٧-القيم مطلقة وليست متغيرة.

يتضح من ذلك أن هناك مجموعة من الأسس التى تقوم عليها الفلسفة المثالية: أن العقل والروح أسمى من الجسم، حرية الإنسان فى الاختيار، ثبات القيم وعدم تغيرها، عدم تأثر القيم بسلوكيات الأفراد، أن الله مصدر كل المعارف، أفضلية الإنسان عن الطبيعة، أن الإنسان يكون مبدعاً عندما يكون حراً فى تفكيره، وإنطلاقاً من ذلك تميزت الفلسفة المثالية بالعديد من الملامح التربوية .

الملامح التربوية للفلسفة المثالية :

من الملاحظ أن الفلسفة المثالية تقوم على تمجيد العقل والروح، والتقليل من شأن المادة، كما أنه من الملاحظ أن أفلاطون قد آمن بدور التربية، ورأى أنها الأداة الفعالة الكفيلة بتحقيق فكرة المثالية للمجتمع، ومن هنا رسم للتربية أهدافها ومناهجها وطريقة تدريسها، فصلاح المجتمع إنما يكون بصلاح أفراده، فالتربية لديه هى أداة العدالة الاجتماعية .

وهكذا تميزت هذه الفلسفة بالعديد من الملامح التربوية التى تميزها عن غيرها وذلك على النحو التالى:

١- أن التربية هى العملية الفعلية التى تصل إلى إدراك الحقيقة المطلقة عن طريق شحن العقل بالمعارف والأفكار.

٢- أنه لكى تصل التربية العقلية إلى فهم الحقيقة المطلقة يجب أن تقدم فى شكل قوالب معرفية ثابتة وليس فى شكل نماذج تجريبية .

٣- أن التربية ترتكز أساساً على التربية العقلية ثم تستكملها التربية الخلقية والدينية والجمالية والبدنية، أى أن التربية بهذا المعنى تستند على مجالات المعرفة.

٤- الغرض من التربية هو الارتفاع المتدرج نحو الوصول إلى إثبات المطلق ومعرفته والسبيل إلى ذلك هو العناية بكمال الذات، فالمثالية التى تمجد المثل الروحية الخالدة بما تتضمن من الحق والخير تتجه بطبيعتها إلى النهوض بالذات الإنسانية والرقى بها إلى أقصى درجات الكمال الروحى لتكون أهلاً للوصول إلى الفكرة المطلقة.

٥- العناية بالغرض الاجتماعى، فمع تقريرها لخلود القيم الروحية تؤكد عموميتها واشتراك الأفراد فيها، وهذا يعنى أن العقول المختلفة إذا ابتدأت التفكير من نقطة واحدة تصل إلى نتائج متشابهة، وعمومية الحقائق على هذا النحو تحتم أن المجتمع لكى يصل الفرد فيه إلى كمال ذاته لابد أن يشتمل على قيم ومثل يشترك الناس فيها جميعاً.

٦- عدم إمكانية الاستغناء عن المربى فى نظر المثاليين لأنه هو الذى يقوم بتهيئة الجو المناسب للمتعلم ويجهز له البيئة المثلى للعيش والحياة، ثم يأخذه بيده، ويرشده بنظرياته ودروسه، ويوجهه إلى مجال العلم والعمل وإلى المثل والحقائق التى تصل به تدريجياً إلى أقصى درجات الكمال الذاتى ويتمكن من تحقيق الهدف من التربية.

٧- تهتم الفلسفة المثالية بدراسة علم النفس والأخلاق والمنطق والدين والعلوم الإنسانية بعامة حيث أن هذه العلوم هى التى تخدم غرض التربية المثالية بصدق وأمانة، فالدراسات النفسية تهدى المتعلم إلى مواطن الخطر فى

السلوك والقواعد الخلقية وأسس علم المنطق والدين كلها بالنسبة إليه بمثابة الأرض الصلبة التى يقف عليها حين يريد أن يرقى ويرتفع روحاً وعقلاً.

٨- يجب أن يحاط الطفل بكل ما هو خير وسام، فليس هناك أفضل من معرفة أفضل الأمور فى كل لون من ألوان الدراسة، وفى كل مرحلة من مراحل النمو، وبذلك يعرف خير ما فى الفن والهندسة والأدب والسياسة والتاريخ والفكر والصناعة والتجارة وخلق الناس، وأن معرفة الرفيع من الأمور تزود المرء بالتوجيه والهدف والعزيمة.

٩- التأكيد على التنمية الروحية.

١٠-الوعى الذاتى كأحد أهداف التربية.

١١- عدم أهمية المكان بالنسبة لعملية تربية الأطفال.

١٢-أن تنمية الأطفال تكون متطابقة مع مستويات الكبار (البالغين).

١٣-التربية الإيجابية.

يتضح مما سبق أن الفلسفة المثالية تتميز بالملامح التربوية المثالية، وهى:

- الاهتمام بالتربية العقلية فى المقام الأول، ويليها التربية الخلقية والدينية والجمالية والبدنية.
- أن الهدف النهائى من التربية هو الاهتمام بكمال الذات.
- الاهتمام بالعلوم والمعارف النظرية والتى تتمثل فى دراسة العلوم الإنسانية المختلفة.
- الاعتراف بأهمية ومكانة دور المربى فى العملية التربوية.
- توفير بيئة صالحة عند تربية الطفل.
- الاهتمام بالتنمية الروحية للأفراد.
- أن وصول العقل إلى الحقيقة المطلقة يتم عن طريق المعرفة.

وهكذا يتضح أن الفلسفة المثالية تهتم بالعناصر التالية:

- العقل: لأنه جوهر الأشياء، بل أن الكون يعتبر عملية تفكيرية، إذا فالإنسان الذى هو جزء من الكون يجب أن يكون معقولاً، ولا يصدر من أفعاله إلا عن حكمة وتعقل.
- الجمال: لأن الحق والخير كلاهما معناه من معنى الجمال أو يصطبغ بصبغته، فليس هناك حق قبيح، على أن الجمال بمعناه العام له دخل كبير فى صفاء الروح، ورقة الشعور وحسن التقدير، ومن ثم فالعقل ينبغى أن يتدرب على التفرقة فى الحكم بين الغث والثمين، والرفيع والمنحط فى جميع المجالات التعليمية، والمتعلم يجب أن يعتاد رؤية الجميل وتذوق القيم العالية فى كل موضوع، والاتصال بذوى الأخلاق الكريمة حتى لا تحبطه المناظر القبيحة أو يستهويه منحط القيم.
- الدين: لأنه القانون الذى وضعه العقل المطلق وهو الله ليكون الصلة بينه وبين الإنسان بما يهذب نفسه ويسمو بروحه على ممارسة الخير وإنكار الشر.
- الأخلاق: وهى التى تعمل جنباً إلى جنب مع الدين، بل إن الخلق الكريم يعتبر نتاجاً لتمسك الإنسان بأهداب الدين وحرصه على اتباع مثله العليا وقيمه الرفيعة.
- رياضة البدن لا من أجل البدن: فإن المثالى لا يهتم بالمادة ولا يعنى بها ولكن من أجل الروح وخدمة العقل فإن كليهما لا تكمل رعايته والعناية به إلا إذا نال الجسم حظاً من الرعاية والعناية تجعله خليقاً بلياقته لها وازدهارها معه فيقدران على الإنطلاق والارتفاع إلى عالم المثل.
- وإنطلاقاً من هذه الأسس والملامح التربوية المختلفة للفلسفة المثالية، سوف يتم تناول مفهوم التربية وأهدافها من منظور هذه الفلسفة.

مفهوم التربية طبقاً للمثالية :

الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن المثالية قد عرفت التربية فى أكثر من موضع، وذلك على النحو التالى، ينبغى الإشارة إليها.

فقد عرف « هورن » *Horne* التربية: بأنها عملية أزلية ذات مكانة عالية فى التنمية الحرة للتوافق الجسمى والعقلى، ووعى الإنسان الواضح بوجود الله.

أما « أفلاطون » ينظر إلى التربية على أنها عملية تدريب أخلاقى أو هى المجهود الاختبارى الذى يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التى وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير.

وفى موضع آخر عرفها « أفلاطون » بأنها هى التدريب العقلى الذى يتفق تماماً مع الحياة العاقلة حينما تظهر بعد الطفولة.

كما عرفها « أفلاطون » فى موضع آخر بأنها تدريب العطرة الأولى للطفل على الفضيلة من خلال اكتسابه العادات المناسبة.

ويعرف بعض المثاليين التربية بأنها: عملية أبدية للتوافق الفائق بين الكائن البشرى الحر الواعى المناسب بدنياً وعقليا وبين الله لما تجلى فى البيئة الثقافية والفكرية أو العاطفة الإرادية للإنسان.

كما عرف « أفلاطون » التربية الحسنة بأنها: تلك التى تهب للجسم والنفس كل ما يمكنها من جمال وكمال.

يتضح من ذلك أن المثاليين يؤكدون على أن التربية تعمل على:

- التربية الحرة للإنسان.
- التنمية العقلية للطفل.
- التربية الخلقية للطفل.
- نقل تراث الأجيال السابقة وخاصة الصالح منها إلى الأطفال.

- تربية الأطفال على الفضيلة من خلال المعايشة.

وإنطلاقاً من ذلك حددت المثالية أهداف التربية بصفة عامة وتربية الطفـــل بصفة خاصة وذلك على النحو التالى:

أهداف التربية طبقاً للمثالية:

من الملاحظ أن هدف التربية عند المثاليين ارتبط بتمرس العقل بالذات الفكرى والعقلى الذى خلفته الأجيال السابقة، بل اكتسب هذا الذات صبغة القداسة وأصبح ينقل بحرفيته.

فالمثالية ترى أن البيئة الثقافية أو الروحية تكون البيئة التى تصنع الفرد، كما أنها نتاج وإبداع ونشاط الإنسان، وأنها تعنى كل الإنسانيات مثل الفن، الأدب، الدين، الأخلاق، الرياضيات، والعلوم، كما أنها تكون الأنشطة الجمالية والأخلاقية والعقلية للإنسان.

كما أن الثقافة عملية دائمة النمو وأنها تخص الجميع، حيث إنها تراث بشرى وهدف الإنسان يكون الدخول فى ميراثه الثقافى، ومن الضرورى أن يكتسب منها كماله الذاتى، ولذلك يقول «رسك» *Rusk* أن الذاتية تجعل البشرية قادرة على الدخول من خلال ثقافتها أكثر فأكثر وبدرجة كاملة إلى الحقيقة الروحية، ومن هنا فإن هدف التربية يكون تنمية الفرد.

لذلك فقد أشار «أفلاطون» إلى العديد من أهداف التربية فى كتـــاب «الجمهورية» من بينها:

- تحقيق وحدة الدولة، فالدولة التى يمثلها أفلاطون كان من أغراضها هدم روح الفردية المتفشية فى أثينا فى ذلك الوقت، لذلك كان يرى أن الغرض الأول للتربية هو تنمية روح الجماعة أو الإحساس بالشعور بالحياة الجماعية.

- تنمية المواطنة الصحيحة فى الأفراد وذلك عن طريق إمداد الشباب بالمعرفة الدقيقة عن طبيعة الحكم وطبيعة الحق المطلق حتى يستطيعوا ممارسة الأعمال الرئيسية فى الحياة المدنية والاجتماعية.
- إعلاء العقل على الأمور الحسية، والروح على البدن، وذلك عن طريق إيقاظ الملكة العاقلة فيه.
- تنمية الإحساس بالجمال ومحبة الخير والجمال.
- تحقيق التناسق فى شخصية الإنسان وذلك عن طريق التوفيق بين مطالب الجسم والعقل، والحياة التى تقوم على العادة وتلك التى تقوم على التفكير والمصالح الفردية ومصالح الدولة.
- إنتاج الأطفال القادرين على حكم أنفسهم ويستطيعون بالتفكير التصرف فى المسائل المتعلقة بسلوكهم، وبذلك يوفرون على الدولة عبء إصدار تعليمات وقوانين تفصيلية فى مثل هذه المسائل.
- تمدين الأطفال وتطبيعهم اجتماعياً، وتهذيب علاقاتهم بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالذين يحكمونهم.

فهدف التربية طبقاً لأفلاطون هو كل من سعادة الفرد والدولة الجيدة، وعمل التربية هو إنجاز هذه الأهداف من أجل أن يكون الفرد لائقاً عن تطبيق عمليات الاختيار والمغربلة والاختبار، فهدف أفلاطون هو العدالة.

كما أن الهدف من التربية عند أفلاطون سيوجه نحو البحث عن المثل الحقيقية وتنمية الصفات الأخلاقية مثل البحث عن الحقيقة المعتمدة على النظام الفردى.

والباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن بعض التربويين حددوا أهداف التربية طبقاً للفلسفة المثالية، فالبعض حددها على النحو التالى:

- أنه يجب أن يوجه كل الاحترام للشخصية الإنسانية وتمجيدها.

- يجب أن يقوم المعلم بدوره كرجل خير.
- الإدراك الـذاتى ولـيس البحـث عـن الأشـياء الماديـة أو القـوة السياسـية أو الاجتماعية يكون الهدف الرئيسى من التربية.
- يجب أن تقود عمليات التربية إلى وجهة نظر روحية بعمق وإلى سلوك أخلاقى وروحى بدرجة عالية.
- يجب أن يدرب المعلم نفسه وأن يحسن ذاته روحياً وخلقياً.
- يجب أن يكرس التلميذ جهده للمعرفة الروحانية، حيث يجلس على قدميه لسيده ليس كشخص فى مرحلة أدنى، ولكن كشخص مقدس حيث ينمو فيما بعد فى حياة روحية.
- النظام ليس مفروضاً على التلاميذ، بل أنه يجب على المعلم أن يساعدهم على تنمية النظام الذاتى وذلك من خلال المعرفة الذاتية.
- المعرفة ذات المكانة الرفيعة، والكون السامى، والحياة الروحية، كل هذا يقود إلى حرية العقل الحقيقية.
- يجب أن تنمو شخصية التلاميذ الخلقية والروحية بالتمام والكمال.
- يجب أن يتعلم التلاميذ، ويشجعوا على المشاركة الكاملة فى التراث الثقافى وتحسينه من خلال أفكارهم وأعمالهم.
- التربية يجب أن تعلم التلاميذ احترام الدين والتقاليد الروحية.
- تُعد تنمية الصحة الجسمية أحد أهداف التربية التى لها شأن، وتكون وسيلة لصحة العقل والروح.
- كل القيم الاجتماعية والمهارات تتعلم فى المدرسة، كما يحكم عليها عن طريق القيم الروحية مثل الصدق والجمال والصلاح.

- يحكم على تقدم المدرسة والمعلم والتلاميذ عن طريق معايير الحياة الروحانية بدلاً من مقاييس الذكاء والتحصيل المشهورة فى علم النفس الحديث.
- يُعد التفكير الراقى والحياة البسيطة أحد أهداف التربية.

أما البعض فقد حدد أهداف التربية طبقاً للفلسفة المثاليـــة فى المحـــاور التالية وذلك على النحو التالى:

تعظيم الشخصية الإنسانية:

إنه طبقاً للمثالية تُعد الشخصية الإنسانية ذات قيمة سامية، ولهذا فإن هدف التربية الأول سيكون تعظيم وتمجيد الذات الإنسانية، والتى تكمن فى الإدراك الذاتى، فحياة الفرد تمتلك الامكانيات التى تجعلها مثال كامل، ولذا فإن التربية ستساعد الفرد ليصبح المثال الكامل.

تنمية القوى الخلاقة المبدعة:

إن الإنسان لا يقبل بيئته الفيزيقية ثابتة، وإنما يميل إلى تغيير وتعديل هذه البيئة طبقاً لاحتياجاته، وطبقاً لأهدافه الخاصة من خلال مهاراته الإبداعية والاختراعية، وبالتالى يعتاد قوى الطبيعة التى ستقدم له الخدمات الممكنة بالشكل الأفضل.

وفى هذا الصدد يقول « روس » *Ross* أن القيم الأخلاقية والتى تكون روحية يمكن أن توجد فى الأنشطة الطبيعية، والقيم العقلية تقتفى أثرها فى تطبيق المهارات لحل مشكلات البيئة الطبيعية.

اكتساب وإثراء البيئة الثقافية:

يُعد الإنسان مبتكراً للبيئة الثقافية، ولهذا يقول « رسك » *Rusk* أن البيئة الثقافية هى البيئة التى صنعها الإنسان، وأنها من نتاج نشاطه الابتكارى.

ويقول « روس » أن الدين والأخلاق والفن والأدب والعلوم ما هى إلا نتاج النشاط الحماسى والعقلى للإنسان والتى تنم من أول العمر إلى آخره.

ولهذا فإن المثالية تؤكد على أن كل طفل ينتقل من البيئة التقليدية بحرية إلى التراث الثقافى البشرى طبقاً لقدراته. ويجب ألا يقدم هذا التراث فقط وإنما يقوم بمساهمته فى إثراء هذه الثقافة، من هنا فإن التربية ينبغى أن تساعد الإنسان فى مساهمته فى إثراء الثقافة.

تنمية الحس الخلقى:

إنه طبقاً للمثالية أن من أهداف التربية تنمية الحس الخلقى للطفل لكى يكون قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ.

ومن هنا فإن التربية ستعمل على تنمية قوة ورغبة الطفل لكى يكون قادراً على اتباع الخير ورفض الشر، وهذه القوة يمكن أن تنمى لديه الاعتزاز ببعض القيم الخلقية العليا مثل الصدق والجمال.

الإدراك الذاتى:

إن وظيفة التربية تجعل الفرد قادراً على إدراك هذه الوحدة بداخله، وتؤسس الشجاعة والانسجام بين طبيعته والطبيعة الكلية الشاملة.

ولما كانت موضوعات التراث مرتبطة بضرورة التراث بدلاً من ضرورات الواقع. وأصبحت صلة هذه الموضوعات بالماضى صلة وثيقة تحول دون ارتباطها بالحاضر والمستقبل، من هنا يرى البعض أن أهداف التربية المثالية تدور حول العناصر التالية:

- التركيز على التنمية العقلية النظرية، وإهمال الجوانب الجسمية والوجدانية والمهارية.
- استهدفت التربية المثالية تعليم القلة أو الصفوة وهم فئة الفلاسفة وأهملت بقية أفراد المجتمع وسخرتهم للأعمال الجسدية من دفاع وإنتاج.

- أدت الاهتمامـات السـالفة إلى التركيـز علـى التربيـة النظريـة وإهمـال التربيـة العملية المهنية.
- ارتكزت التربية حول ما عرف بالفنون الحرة السبعة وتشمل النحو والجدل والبلاغة وتسمى بالمجموعة الثلاثية، والموسيقى والحساب والهندسة والفلك وتسمى بالمجموعة الرباعية.

يتضح مما سبق أن المثالية تهدف إلى تشكيل الرجل الحكيم وذلك عن طريق المزج بين الذكاء والسمات الطيبة الصالحة.

وأن الفلسفة المثالية تهدف إلى تدريب الفرد تدريباً كاملاً وليست تنمية بعض أجزائه، كما تهدف إلى:

- تمكين التلميذ من تحقيق الصدق والفضيلة فى حياته الخاصة، ومن ثم صقل أو تهذيب شخصيته الحرة.
- رفع شأن الشخصية أو تحقيق الذات أو تحقيق أقصى ما تسمح به امكانيات الفرد.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن أهداف التربية باختصار طبقاً للمثالية ما يلى: الإدراك الذاتى، التنمية الروحية، نقل وتهذيب التراث الثقافى، التنمية الروحية، غرس القيم الخلقية، تنمية الشخصية.

وبعد عرض أهداف التربية بصفة عامة وأهداف تربية الطفل بصفة خاصة، فإنه سيتم تناول تربية الطفل من منظور الفلسفة المثالية، وذلك بإلقاء الضوء على مراحل تربية الطفل، وأهم جوانب تربيته من منظور هذه الفلسفة.

مؤسسات تربية الطفل طبقاً للمثالية:

من الملاحظ أن « أفلاطون » جعل التربية جزءاً من سياسة الحكومة، ورأى أن أى إصلاح سياسى أو اجتماعى لابد أن تصحبه تربية تكفل تدريب الأطفال

منذ حداثتهم، بما يتمشى مع النظام الحكومى للدولة. ولأن واجب الدولة- كما أقر أفلاطون- هو توفير أسباب الرخاء للمواطنين، فإن التربية يجب أن تكون ضمن مسئوليات الدولة فتتولاها، وتشرف عليها.

كما رأى « أفلاطون » ضرورة عزل الصغار عن الكبار، حتى تبعد عنهم عادات آبائهم السيئة، ويجب أن تتاح للصغار جميعاً فرص متكافئة لينالوا نصيباً من التعليم، لا يتميز واحد عن الآخر، فالنبوغ والعبقرية ليسا وقفاً على طبقة دون أخرى.

ولهذا فقد نادى أفلاطون أن يظل الأطفال منذ نعومة أظافرهم فى حضانة الدولة وتحت إشراف الإخصائيين الاجتماعيين، إذ أنه يعتقد أن الأطفال ملك الدولة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن « أفلاطون » اكتشف أن نجاح أو فشل التربية المدرسية، إنما يتوقف بصورة أساسية على مدى النجاح أو الفشل فى تربية ما قبل المدرسة فى القيام بوظيفتها التربوية على أكمل وجه، فسوء سلوك الفرد إنما يرجع إلى فساد التربية التى يتلقاها الأطفال فى الأسرة، وذلك من خلال تصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم أمام الأطفال مما يؤثر بصورة سلبية فى سلوك هؤلاء الأطفال فى هذه المرحلة من حياتهم والتى تتشكل فيها شخصياتهم المستقبلية.

ومن هنا فرض « أفلاطون » على الحكومة إنشاء حضانات للأطفال من الميلاد حتى السادسة، وهذه الحضانات ستكون بيئة طاهرة ونقية وخالية من نفوذ الأسرة الفاسدة التى تقدم القيم الخاطئة أو المجتمع الفاسد أو من الشرور الاجتماعية، ولذلك فقد حدد وظائف معينة لهذه الحضانات:

- تشكل العادات المناسبة، أو الاستعدادات الوجدانية للحياة الطيبة الصالحة.

- تزويد المناهج بالقصص والموسيقى والألعاب والمسرحيات التى ستكون نماذج للحياة الصالحة والتى سيقلدها الأطفال.

كما نظر « أفلاطون » إلى الأسرة على أنها الوسيط التربوى الأساسى فى تربية الطفل منذ ميلاده وحتى سن السابعة، على أن تطبق الأم فى تربيته مبادئ وأصول التربية الحديثة التى تحددها الدولة، ومن أهمها التركيز على اللعب، وكثرة الحركة، ولاسيما خلال السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل لتحقيق النمو الجسمى المتناسق مع الإكثار من الألعاب الجماعية منذ سن الثالثة.

ومن الملاحظ أن « أفلاطون » فى كتابه « القوانين » أدخل تغييراً جوهرياً على النظام الأسرى، إذ عمل على استقرار الحياة الأسرية، واعتبر الأطفال ملكاً لآبائهم، ولكنه ظل يولى النسل اهتمامه، فيرى أن من أسس تكوين أسرة سليمة هو زواج الرجل السليم من امرأة سليمة لتكوين خلف صالح، بل يذهب إلى أن يضع أسساً لم يتوصل إليها العالم الحديث إلا أخيراً، فلا يسمح بزواج إلا إذا قدم الزوجان إقراراً يثبت خلوهما من الأمراض ويطلب العناية بالطفل وهو فى بطن أمه حتى يشب قوياً، فينبغى أن تقوم الأم الحامل ببعض التدريبات وأن تكون نشيطة، كثيرة الحركة أثناء فترة الحمل، لأن هذا النشاط من شأنه أن يساعد على نمو جسم الطفل نمواً صحيحاً متناسقاً أثناء تكوينه فى بطن أمه وأثناء نموه بعد الولادة.

ومن الملاحظ أن الخطوة الأولى فى نظام « أفلاطون » التعليمى هى انتزاع الأطفال من آبائهم الحاليين كنقطة بداية لتكافؤ الفرص التعليمية التى هى فى نظره قمة الديمقراطية كما تصورها، فيؤخذ هؤلاء الأطفال،ويحصلون على تعليم عام من سن ٦-١٢ سنة.

ومن الواضح أن « أفلاطون » لا يحبذ تعليم الأطفال قبل هذه السن، وحجته فى هذا أن البداية فى التربية هى أهم عامل يبنى عليه المستقبل العلمى للطفل،

فإذا بدأ الطفل بداية حسنة وتذوق العلم بشكل حقيقى، فإن هذا الطفل سيقبل على التعليم بلذة وشغف، ولكن إذا بدأ بداية غير حسنة فى هذه المرحلة فهناك احتمال كبير أنه لا يمكن أن يتذوق طعم العلم فتتكون بينه من ناحية وبين المدرسة والعلم ومعلمه من ناحية أخرى كراهية لا يمكن أن تزول بسهولة فى المستقبل.

مراحل التعليم طبقاً للمثالية:

الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن بعض المربين يرى أن «أفلاطون» افترض أن التنظيم المدرسى كالآتى:

- من الميلاد حتى العاشرة، وتتمثل التربية فى هذه المرحلة فى اللعب والتمارين والألعاب والقصص.
- من سن العاشرة حتى سن العشرين (المدرسة الثانوية) وتتمثل التربية فى الموسيقى، الجمانيزيوم والمهارات العسكرية.
- من سن العشرين حتى سن الثلاثين (التعليم العالى) وتتمثل التربية فى الرياضيات والفلسفة والجدل.

ولكن هنا سيقتصر على مراحل التعليم الخاصة بالطفل، وتشمل.

مرحلة الحضانة:

وتبدأ هذه المرحلة من ولادة الطفل وحتى بلوغه سن السادسة، وفى هذه المرحلة يعزل الأطفال عن أسرهم، ويعهد بهم إلى حضانات الدولة، وهذا يتمشى مع فكرة « أفلاطون » عن شيوع الملكية للدولة، وتملكها لكل شئ بما فى ذلك الأفراد، فتقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى:

وهى التى تبدأ من الميلاد وحتى سن الثالثة، وفى هذه المرحلة توجه العناية الخاصة إلى تغذية الأطفال وذلك عن طريق إحضار أمهاتهم لإرضاعهم دون إتاحة

الفرصة لهن للتعرف على أبنائهن، كما نهى عن تخويف الأطفال فى هذه المرحلة، لذلك فقد قال أفلاطون: أما الأطفال فعندما يولدون يعهد بهم إلى هيئة تتولى شئونهم، تتكون إما من رجال أو نساء، وإما من الجنسين ما دامت المهام العامة مشتركة بين الرجال والنساء، وعليهم أن يعنوا بتغذية الأطفال وينقلوا الأمهات إلى دور الحضانة عندما تمتلئ أثداؤهن باللبن، مع اتخاذ كل التدابير الكفيلة بالا تتعرف الأمهات على أطفالهن، فإن لم يكن فى وسع الأمهات أن يرضعن، فلا بد من إيجاد مرضعات، ومن الواجب تحديد الوقت الذى تقوم فيه الأمهات بالرضاعة بحيث لا يقمن بالسهر على الأطفال.

ويتضح من ذلك أن « أفلاطون » اهتم فى هذه المرحلة بالرضاعة الطبيعية للأطفال، وفى حالة عدم قيام الأمهات بالرضاعة يجب الاستعانة بمرضعات، وفى هذا تأكيد على التغذية الجيدة للأطفال، ولهذا يقول « أفلاطون »: أن النظام الصحيح للتغذية يجب أن يكون هو ذلك الذى يستطيع أن يثبت أنه قد أنتج أعظم كمال ممكن، وأكبر امتياز للجسم والنفس وكمال الأجساد، أى أنه يجب أن يكون نموهم مستقيماً ابتداءاً من أيام مولدهم الأولى.

ومن الملاحظ أن التربية فى هذه المرحلة قاصرة على أبناء الصفوة فى المجتمع مع توجيه عناية خاصة بهم، وفى هذا يقول « أفلاطون »: يأخذ الضباط أبناء الوالدين الأخيار ويضعونهم فى حى خاص بالمدينة، أما نتاج الوالدين المنحطين، وجميع الأطفال الناقص تكوينهم فيخفيهم فى مخبئ سرى غير معروف.

المرحلة الثانية:

وتبدأ هذه المرحلة من سن الثالثة وحتى سن السادسة، وهى أهم فترات التعليم فى حياة الطفل من وجهة نظر أفلاطون، وأهم ما يتعلمه الطفل فى هذه المرحلة هو اللعب والتسلية والاستماع إلى القصص الخيالية التى تعلم الفضيلة،

وفى هذا يقول « أفلاطون »: وفى هذه المرحلة التى نصل إليها فى سن الثالثة والسنوات التالية والرابعة والخامسة، سيكون اللعب ضرورياً، ويجب أن نستأصل الخنوثة من الأطفال ونوقع العقاب.

ومن الواضح أن « أفلاطون » اهتم باللعب الطبيعى، وفى هذا الصدد يقول « أفلاطون »: وبخصوص اللعب فهناك مباريات تقترحها الطبيعة نفسها فى ذلك السن، والأطفال أنفسهم على استعداد لاصطناعها لأنفسهم عندما نتركهم فى صحبة الغير.

وقد أكد ذلك فى كتابه « القوانين » حيث يرى أفلاطون أنه يمكن فى سن الثالثة البدء فى تصحيح خطأ الأطفال تصحيحاً فطناً، وكذلك تدريبهم على الألعاب المتنوعة، وينبغى أن يتركوا ليكتشفوا هذه الألعاب المبتكرة لأنفسهم، وينبغى فيما بين الثالثة والسادسة أن يؤتى بهم يومياً ليلعبوا مع بعضهم تحت إشراف سيدات الحكام.

ويتضح من ذلك أن الفلسفة المثالية تركز فى هذه المرحلة على الاهتمام باللعب والقصص التى تحمل معانى سامية، خاصة وأن الطفل فى هذه السن أكثر استعداداً للتشكيل.

المرحلة الأولية:

أشار كثير من الباحثين أن الفلسفة المثالية ترى أن هذه المرحلة تمتد من سن السادسة وحتى الثالثة عشر، لكن البعض يرى أن الفلسفة المثالية ترى أن هذه المرحلة تمتد من السادسة إلى الثامنة عشر- وقد أخذ الباحث بالتقسيم الأخير- وتعتبر هذه المرحلة مراحل متداخلة فيما بينها، وتتم تحت إشراف الدولة ومراقبتها، وهذه المرحلة تنقسم إلى:

١- من سن السادسة إلى العاشرة، وتدرس فيها مواد مثل الموسيقى والرياضة ومبادئ الحساب الأولى، وهى مشتركة بين الذكور والإناث.

٢- من سن العاشرة وحتى الثالثة عشرة، وتُدرس فيها مواد مثل القراءة والكتابة لمدة ثلاث سنوات، كما يتم فصل الذكور عن الإناث، وإلى جانب ذلك يقترح أفلاطون تدريس الدين والأخلاق والموسيقى والرياضة وركوب الخيل، ويعيش الأطفال فى مساكن داخلية.

٣- من سن الثالثة عشرة وحتى السادسة عشرة، وتخصص هذه المرحلة لمواصلة دراسة مواد المرحلة الأولى إلى جانب تعلم العزف على القيثارة لمدة ثلاث سنوات إجباريا.

٤- من سن السادسة عشرة وحتى الثامنة عشرة، وهى مرحلة متخصصة لممارسة الألعاب الرياضية العنيفة والتدريب العسكرى.

وفى هذا الصدد يقول أفلاطون « وعندما ينقضى سن السادسة لدى أى من الجنسين، فسيكون من الآن الفصل بين الجنسين، فيلحق الصبية ببعضهم، وكذلك البنات، وسيكون الوقت حل بالنسبة لكل من الفريقين للعودة لدروسهم، فالأولاد يرسلون إلى معلمين يعلمونهم الركوب والرماية، واستعمال النبل والقلاع،والبنات يستطعن المشاركة فى ذلك إذا أردن ولكن قبل كل شئ ».

وهكذا يتضح أن « أفلاطون » يرى أن تكون التربية فى مراحلها الأولى أدنى إلى التسلية منها إلى الجد، لأن هذه هى الوسيلة التى يتعرف بها الكبار على ميول الأطفال الطبيعية، وبحيث يدرب الأطفال فى فترة السنوات العشر الأولى على رياضة بدنية لتقوية أجسامهم إلى جانب دراسة الموسيقى لتهذيب الخلق، وتدريب النفس على التوافق النغمى، على أن أفلاطون يحذر من الإسراف فى تربية الأجسام على حساب الموسيقى، أو الإسراف فى ترقيق النفس بالموسيقى على حساب الجسم.

جوانب تربية الطفل طبقاً للفلسفة المثالية

التربية الجسمية للطفل:

الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن الفلسفة المثالية وجهت اهتماماً ملحوظا نحو الاهتمام بتربية الطفل جسمياً. وقد تمثل الاهتمام من بداية الحمل وخلال السنوات الأولى بعد الميلاد. فيرى « أفلاطون » أن العناية والاهتمام بتربية الطفل يجب أن تبدأ منذ اليوم الأول للحمل برعاية الجنين منذ مرحلة تكوينه فى بطن أمه. حيث اعتبر « أفلاطون » هذه الفترة لازمة وخطوة أولى للتربية الصالحة. ويقول فى هذا الصدد أنه ينبغى أن تكون الأم نشيطة كثيرة الحركة أثناء فترة الحمل، لأن هذا النشاط من شأنه أن يساعد على نمو جسم الطفل نمواً صحيحاً متناسقاً أثناء تكوينه فى بطن أمه. وأثناء نموه بعد الولادة. وهذا ما يؤكده بعض المربين من أن: الفلسفة المثالية ترى أن تبدأ التربية البدنية قبل الولادة. وتوصى النساء الحاملات بالتنزه والإكثار من الحركة. لأن كل هزة أو حركة تمنح صحة جيدة وجمالاً ونشاطاً للطفل الذى سيولد.

أما فى السنوات الأولى بعد الميلاد فيعيش الأطفال فى حضانات الدولة. وبالتالى يبدأ عمل الحاضنات فى الاهتمام بتربية الطفل من الناحية الجسمية. ولهذا يقول « أفلاطون » فى كتابه القوانين أن واجب السيدة التى تنتظر الأمومة هو القيام بكل التمرينات التى يحتاج إليها الطفل فى رحمها كى تحقق له الخير. وعندما يولد الطفل يجب أن تتأكد السلطات من أن الحاضنة تتيح له كل الهواء والتمرينات اللازمة، وعلى الخصوص ما يتعلق بالحفاظ عليه حتى لا يضر نفسه بالمشى أكثر تبكيراً مما ينبغى.

ويتضح من ذلك أن « أفلاطون » أدرك ضرورة تنمية البدن، وذلك لأن الهدف الأساسي من التربية البدنية عند « أفلاطون » هو وصول الجسم والنفس إلى درجة الكمال، وذلك اعتقاداً منه أن العقل السليم في الجسم السليم، وأن النفوس السوية لابد وأن يحتويها جسم سليم.

كما يتضح من ذلك أيضاً أن الفلسفة المثالية اهتمت بتربية الطفل الجسمية في هذه الفترة (السنوات الأولى من الميلاد) حيث أكد « أفلاطون » على بعض الوسائل التي تساعد على تنمية جسم الطفل مثل تغذيته تغذية سليمة، وقبل أن يمشي الطفل يجب أن تساعده مربيته على القيام ببعض التدريبات الصالحة له، وعدم السماح له بالمشي قبل الأوان، ويجب أن تغني له المربية وترقص له وتدلله حتى تزيل عنه الخوف، وهذه هي الخطوة الأولى- في رأيه- نحو تنمية شخص شجاع، كما تجنبه القلق والعاطفة القوية.

كما نصح « أفلاطون » في هذه الفترة من عمر الطفل أنه يجب أن يولى عناية كبيرة ويشجع على الإكثار من الحركة حتى لا يتسبب نموه السريع في هذه الفترة في تشويه جسمه.

ومن الملاحظ أن الفلسفة المثالية تشجع على التربية البدنية التي تساعد الجسم على أن ينمو نمواً صحيحاً، والتي تساعد على إرهاف الحواس، وتقويتها، ولكن رغم ذلك فإنه يعتقد أن المغالاة في تربية الجسم عن طريق الاحتراف الرياضي، وتقويم العضلات فيه خطورته، فانصراف الشباب نحو هذه الناحية، يجعله أكثر ميلاً إلى الهمجية والوحشية، سئ التصرف، يعيش متخبطاً في ظلمات الجهل.

ولهذا يقول « أفلاطون »: إن الذين يقتصرون على الرياضة البدنية وحدها يكتسبون منها قسوة مفرطة.

فالتدريبات الرياضية التى يرى «أفلاطون» تعلمها تنقسم إلى قسمين: رقص ومصارعة، وهناك أيضاً نوعان من الرقص:

- الأول: يقوم على حركات تحاكى أقوال رُبة الشعر مع المحافظة على طابع النبل والحرية.
- الثانى: يعمل على إكساب الجسم بجميع أعضائه الصحة والخفة والجمال، ويمرنه على الحركة والانبساط بنسبة معتدلة، وذلك بواسطة حركات معينة موزعة بدقة فى جميع أدوار الرقص.

وقد شجع « أفلاطون » المصارعة التى تفيد فى تدريب الأطفال على الأعمال الحربية لما لها من قيمة تربوية، بينما لا يشجع المصارعة المصحوبة بالتمايل الذى لا فائدة منه.

كما أن اهتمام « أفلاطون » بالتربية البدنية لا يهدف منها رعاية الجسم وحده ولكن هناك هدف آخر مهم، وهو رعاية النفس فى جزئها الغضبى- وهو يعنى به= تنمية صفات الشجاعة والإقدام فى الفرد.

وانطلاقاً من ذلك يتضح أن اهتمام الفلسفة المثالية بالتربية الجسمية يرجع إلى: أنها ستساهم فى تنمية الذكاء الإنسانى، وأن أنشطة التربية الجسمية يمكن أن تساعد الأطفال أن يفكروا بأنفسهم، ومن هنا فإن اختيار الأنشطة لابد أن يكون لها علاقة بالمظاهر الهامة للحياة.

كما يرجع إلى: أن الجسم مصدر العمل والطاقة لدى طبقة العبيد، كما أن تربيته تفيد أيضاً فى توفير عنصر القوة للجنود والحراس، كما أن تهذيب الجسم من شأنه أن يساعد على صفاء العقل وتنقية الروح لتصل إلى عالم المثل.

كما اهتمت الفلسفة المثالية بالتربية الرياضية فى المراحل الدراسية المختلفة، وهذا ما أكده « أفلاطون » عندما اقترح أن تتم التربية الرياضية جنباً إلى

جنب مع بقية المواد الدراسية الأخرى. وإن كانت هذه التدريبات تبدأ بسيطة ثم تتدرج فى تعقيدها حتى تصل إلى قمتها فى نهاية المرحلة الثانية وبداية المرحلة الثالثة، فيتدرب التلاميذ على الفروسية والسباحة والمصارعة العنيفة ورمى القرص إلى غيرذلك من التمرينات الرياضية التى تساهم مساهمة إيجابية فى ترقية البدن.

ويتضح من ذلك أن الفلسفة المثالية أولت التربية الجسمية اهتماماً واضحاً، ولكن ليس على حساب الجوانب الأخرى للطفل، ولذلك سيتم توضيح التربية العقلية للطفل من منظور الفلسفة المثالية.

التربية العقلية للطفل:

تذهب المثالية إلى أن المعرفة اليقينية من اختصاص العقل دون سواه، وأن موضوع هذه المعرفة الأصيل هو الكلى الذى تدركه النفس بحكم انتمائها إلى عالم الكليات بحسب قول « أفلاطون ».

ومن الواضح أن هذا الاتجاه الفلسفى أدى إلى أن يصبح أسلوب التعليم منصباً على النواحى النظرية،وتدريب العقل بغرض الوصول إلى الفضائل والمثل. والفضيلة عند « أفلاطون » تعنى إدراك المعارف الكلية أو الحقائق الثابتة وهى على ما أسماها بالمثل، وفى ضوء ذلك يمكن القول أنه ما دام العقل متصلاً بالمجردات فإن غذاؤه هو الأفكار الفكرية المجردة، ولهذا ينبغى العناية بتهذيب العقل بالمعرفة النظرية والترفع عن النواحى الحسية والمادية.

من هنا يتضح أن الفلسفة المثالية اهتمت بتربية العقل اهتماماً بالغاً، ولهذا يرى « أفلاطون » أن استقرار الإنسان، وعدالة نفسه، وفضيلة وجوده لا تتم إلا باستعلاء قوة العقل وسيادتها على باقى القوى لما تمتاز به من خبرة فى كل أنواع اللذات.

كمـا اعتقـد « أفلاطـون » أن وظيفـة التربيـة هـى تنميـة الفضـيلة، والمواطنـة الصالحة لدى الأفراد، وأن عليها أن تدرب العقل، وتعلمه الأمور الحسية وذلك عن طريق إيقاظ الملكة العاقلة لدى الإنسان.

وتأكيداً لأهمية التربية العقلية عند المثاليين، ذهب أفلاطون إلى القول بأن من يعمل بيده فقد شوه عقله، وترتب على ذلك أن أصبح كل ما يتصل بالعقل سام، وكل ما يتصل بالجسم محتقر.

وقـد ترتـب علـى هـذا الاهتمـام بالتربيـة العقليـة، وسمـو مكانـة العقـل عنـد المثالية، أن ارتفعت مكانة المعرفة النظرية، وارتكز التدريس على المواد التى تهتم بتربية العقل، واكتسبت بذلك العلوم العقلية مكانة رفيعة، وكان ذلك على حساب العلوم التطبيقية التى كان ينظر إليها نظرة دونية.

ومـن أجـل تربيـة الطفـل عقليـاً، فقـد نـادى « أفلاطـون » باسـتخدام اللعـب كوسيلة للتسلية والتعليم، وتنمية التفكير إلى الحد الذى يسمح فيه للأطفال بابتكار اللعب والألعاب المسلية.

كمـا لم يـرى « أفلاطـون » مانعـاً مـن اسـتخدام الموسيقى لتعليم بعض المواد، مثل التاريخ والعلوم بشرط ألا تفرض هذه المواد العقلية على عقول الأطفال، وإنما تكون هناك حرية فى الإقبال عليها.

كما تحتل الرياضيات مكانة هامة فى التربية العقلية- عند المثاليين- حيث إن الهدف منها أن تهيئ الذهن إلى الصعود إلى العالم المعقول، وهى أيضاً لا تتصل بالعالم المحسوس، وهى وسيلة لتدريب العقل على التعامل مع الأفكار المجردة، ولهذا فإن الرياضيات فى نظر أفلاطون تتصف بالصفات التالية:

- أنها تبدأ من مسلمات تعد فى غير حاجة إلى إثبات لأنها واضحة بذاتها.
- وهى استدلالية متدرجة، أى أنها تحتاج إلى سلسلة من المراحل المتسقة التى تؤدى إلى البرهان المطلوب.
- وهى تحتاج إلى صور متخيلة، يستعين بها الرياضى فى فهم مشكلته.

وعلى هذا تكون الرياضيات الهدف منها تهيئة الذهن لإدراك الحقائق الأزلية.

ومن الملاحظ أن المثالية ترى أن الرياضيات تساهم فى التربية العقلية ولكن فى مرحلة متقدمة من الطفولة، ومن أجل تربية عقلية سليمة للأطفال ترى المثالية: أنه يجب أن يتحرر العقل تماماً من تأثير العالم الخارجى حتى يتمكن من التأمل والوصول إلى الحقائق الخالدة، ورغم أن هذا هو مصدر معرفة الطفل للأفكار فإن عقله لا يعيها بعد مولده لأنه يصاب بداء النسيان.

كما ترى المثالية أنه ينبغى أن يكون التعليم لذة ومتعة لا تعذيبا وعنتاً، ويفضل المدرس الصالح أن يصيب الطفل العادى من عقله مكاناً كالذى يصيبه من رياضة جسمه، فينبغى للمدرسة إذاً أن تكون ملعباً للعقول، يحاول فيه كل طفل أن يفوق أقرانه فى اللعبة الشائقة، لعبة تبادل الآراء.

كما ينصح « أفلاطون » القائمين على التعليم بأن يضفوا على دروسهم صورة لا تنطوى على أى نوع من الإرغام، لأن تعليم الحر ينبغى ألا يتضمن شيئاً من العبودية، فالتدريبات البدنية التى تؤدى قهراً لا تؤذى البدن فى شئ، إنما العلوم التى تقحم فى النفس قسراً فإنها تظل عالقة فى الذهن، وينبغى لذلك ألا يستخدم المعلم القوة مع الأطفال، وعليه أن يجعل التعليم يبدو لهواً بالنسبة إليهم، وبهذه الطريقة يمكنه أن يكتشف ميولهم الطبيعية.

التربية الخلقية للطفل:

اهتمت الفلسفة المثالية بالتربية الخلقية للطفل، ويتضح هذا الاهتمام من آراء « أفلاطون » حول هذا الجانب. فمن الملاحظ أن « أفلاطون » اهتم فى مرحلة الطفولة بالتربية الخلقية، حيث يرى أن الهدف منها ضبط النفس وشهواتها، ومعرفة الصواب والخطأ، والحق والباطل بحيث يحدث تكامل فى شخصية الطفل جسمياً وعقلياً ونفسياً.

ويرى البعض أن « أفلاطون » يقصد بالأخلاق ما يطلق عليه فى المصطلح الحديث العلاقات الإنسانية وطرائق التعامل.

يتضح من ذلك أن المقصود بالتربية الخلقية عند « أفلاطون » إكساب الأطفال بعض الصفات الحميدة والتى تتسم بها علاقاتهم مع الآخرين بحيث تصبح جزءاً من شخصياتهم.

ويرى « أفلاطون » أن الإيمان بإله واحد، وبدين يحدد الخير، والشر والثواب والعقاب يربى عند الطفل قيماً خلقية،ووضوحاً لتصرفاته، فمن يعمل خيراً سوف يثاب عليه ومن يفعل شراً سوف تعاقب عليه النفس.

ومن الملاحظ أيضاً أن الفلسفة المثالية ترى أن هناك بعض الوسائل التى يمكن عن طريقها تنمية التربية الخلقية عند الأطفال، فيرى « أفلاطون » أن سرد القصص على مسمع الصغير (الطفل)، يساعد على إكسابه للفضائل والقيم السليمة، لذا فقد كان يحذر من استخدام القصص المليئة بالشر، وإحداث العنف لما لها من آثار ضارة على قيم الطفل وسلوكه ويتضح من ذلك ذمه لاشعار « هومر» ومعظم أشعار الإغريق الأقدمين لما لها من أثر سيئ فى الأخلاق نظراً لما تبثه مثل هذه الأشعار من الآراء الخاطئة عن الآلهة.

كما هاجم «أفلاطون» أقاصيص الشعراء الكاذبة واختلاقاتهم القبيحة، ونعى عليهم أموراً كثيرة:

- تمثيل صفات الله سبحانه وتعالى، ومواقف الأبطال تمثيلاً مشوهاً.
- الإغراق فى أوصاف الجحيم وأهوال الموت،ومواقف الترويع، وغير ذلك من الأمور التى تجعل القلب مهموماً والحياة كئيبة.
- الاتجاه المنافى للرجولة.

ولهذا نصح « أفلاطون » عدم ترك الأطفال يسمعون أى قصة يروونها لهم أشخاص آخرون، حتى لا تتلقى أذهانهم آراء هى فى الأغلب مضادة تماماً لما نريدهم أن يكونوا عليه حين يشبون. كما طالب « أفلاطون » بمراقبة مبتكرى القصص الخيالية، فإن كانت صالحة قبلناها، وإن كانت فاسدة رفضناها.

وقد علل « أفلاطون » ذلك بقوله أن الطفل لا يميز بين الحقيقة والمجاز، فيطبع فى عقله ما سمعه فى هذه السن، ويرسخ فى نفسه بتعسر نزعة، وغالباً يتعذر، ولهذه الأسباب أرى أنه يجب الاحتراس فى كل ما يسمعه من الأحداث لئلا يكون فى صيغة لا تلائم ترقية الفضيلة.

وإنطلاقاً من ذلك فإن أفلاطون حدد الشروط الواجب توافرها فى كتابه «الأسطورة» هى:

١- دعوة الأطفال إلى الاعتقاد بأن الله هو أصل كل خير وسعادة للبشرية، وأنه سبحانه جوهر بسيط لا يتكيف ولا يخرج عن المظهر اللائق بذاته ولا يتغير ولا يتبدل، وهو ذو الجلال والإكرام.

٢- الاحتفاظ بقدر من الصدق، لأن الكذب لا جدوى فيه، ولا يجوز لأحد الكذب إلا الحكام فقط فى مخادعة الأعداء، أو فى إقناع الشعب بما هو خير للدولة.

٣- التأكيد على طاعة الحكام، والتركيز على الأفعال المجيدة ومواقف الشجاعة فى مواجهة المحن.

٤- قمع اللذات التى تستلزم الاسترسال فى الطعام والشراب واللهو، حتى تربى فى الشباب فضيلة العفاف والاعتدال.

٥- تحريم الرشوة، ودناءة الحرص على المال.

كما اهتم « أفلاطون » بالفنون- كوسيلة من وسائل التربية الخلقية للطفل- ويعيد الفضل فى تكوين الأخلاق، فعشق الأدب، وممارسة الموسيقى والرقص تعتبر أمور هامة ومدخلاً للكمال الخلقى.

ويرى بعض الكتاب فى هذا الشأن أن « أفلاطون » أشهر فيلسوف يرى أن الموسيقى بمعناها الكلاسيكى والحديث مهمة. فينبغى أن تستخدم من أجل تحقيق الأخلاق الصالحة. ولقد تمسك « أفلاطون » بالرأى القائل أن الموسيقى ينبغى أن تكون وسيلة من وسائل دعم الفضيلة والأخلاق. وكان يرى أن الموسيقى أرفع من الفنون الأخرى.

ومن هذا المنطلق أكد « أفلاطون » تأكيداً شديداً على أهمية الموسيقى فى تكوين الروح والخلق من الطفولة إلى الرجولة، وذلك لأن النغم والإيقاع والانسجام تنفذ إلى الدخائل الخفية للروح وتشدها بقوة، وتعمل على رشاقة الحركات وظرافة الروح لمن يربى تربية موسيقية صحيحة. فيستطيع الطفل المهذب تهذيباً موسيقياً حينما أن يدرك بدهاء ما فى الفن أو فى الطبيعة من اضطراب أو أخطاء، أو تستقبل روحه بكل انشراح وثناء ما هو خير، وتزدرى وتذم ما هو شر. كل ذلك قبل أن يعرف الطفل علل الأشياء، أما متى نضج العقل فإنه سيرحب به، ويحبه كصديق يألفه منذ زمن طول إبان تربيته.

ومن الملاحظ أنه لكى تؤدى الموسيقى دورها فى التربية الخلقية السليمة، فإن « أفلاطون » قدم العديد من النصائح عند استخدامها فى تربية الطفل، فهو ينصح أن تكون من النوع الحماسى الجاد، والذى يساعد على إكساب الصغار منذ نعومة أظافرهم سمات الجدية والرزانة والوقار.

كما حذر من الحان السكر، والتخنث، والكسل، وألحان النواح والأنين، ولا يستعمل من الموسيقى إلا الأنغام التى تحاكى رجلاً شجاعاً. كما حذر من البدع الموسيقية حيث لها أسوأ الأثر فى أمور الدولة. فالفوضى تتسرب إلى ميدان الموسيقى دون أن تشعر بها من باب التسلية، حيث لا يتوقع الضرر فتنساب خلسة إلى العادات والطبائع فتبرز فيها بأعظم قوة، ثم تنتقل إلى المعاملات. ومنها

تتخطى إلى الهجوم إلى الشرائع والقوانين بحيث لا تترك شيئاً إلا قوضت أركانه فى الحياة العامة أو الخاصة.

وفى هذا الشأن يقول « أفلاطون »: تعتبر الموسيقى فى التعليم مهمة لأن الإيقاع والانسجام قادران على التغلغل فى النفس والتأثير فيها بعمق، وهما يزينان النفس بما فيها من جمال، وذلك إذا ما تم تعليمها كما ينبغى، على حين أنهما يقبحانها إذا أسئ تعليمها، وفضلاً عن ذلك فالتعليم الموسيقى إذا ما أحسن أداؤه يتيح للنفس أن تكشف مظاهر النقص والقبح فيما يبتدعه الفن وتخلقه الطبيعة، فيتأثر بهذا الكشف بحيث يشيد مما يراه من مظاهر الجمال، ويتقبلها فى نفسه مسروراً، فيجعل منها غذاءه ويغدو رجلاً خيراً، ويحمل من جهة أخرى على الرذائل ويمقتها منذ نشأته قبل أن يستطيع التفكير فيها بعقله وعندما يكتمل لديه العقل يدركها، ويتعرف عليها كأنها قريبة منه مألوفة لديه، إذ أن ما تعلمه من الموسيقى ييسر له التعرف عليها.

يتضح مما سبق أن ما قدمه « أفلاطون » من آراء لها قيمتها من الناحية التربوية الخالصة، وذلك لأن معظم الأطفال يتعرضون حتى فى عصرنا الحاضر لمؤثرات قد تكون ضارة بهم فى فترة تنشئتهم الأولى، نتيجة لما يلقى على مسامعهم من قصص عن الجن والعفاريت أو من حكايات بعضها ينطوى على معان لا أخلاقية.

أما « كانط » أحد الفلاسفة المثاليين يرى أن التربية الخلقية تتطلب أن نضع أمام أطفالنا الواجبات التى نريد منها أدائها، بمعنى آخر تعريفهم بواجباتهم، كما يجب أن تنمى فيهم الاستعدادات لأداء هذه الواجبات بوحى من الشعور بالواجب، وهذا يعنى غرس الفضائل المناسبة التى يمكن إجمالها فى الفضيلة والإرادة الطيبة.

ويمكن تقسيم الواجبات إلى:

- واجبات الفرد تجاه نفسه، وتنقسم إلى: واجبات كاملة أو إلزامية تجاه نفسه، وتشمل حماية النفس، عدم تشويه أو تدنيس النفس، وأن يكون الفرد صادقاً، وألا يكون بخيلاً تجاه نفسه، وأن يحترم نفسه ولا يكون عبداً.
- واجبات غير كاملة أو المستحقة تجاه النفس، وهى أن يبحث الفرد عن كماله الطبيعى والأخلاقى.
- واجبات الفرد تجاه الآخرين: وهذه الواجبات تنقسم إلى واجبات كاملة أو إلزامية تجاه الآخرين، ومنها الوفاء بالوعد، الصدق، وعدم الكذب، البحث عن بناء نسق من القواعد الإيجابية أو المشروعة وإطاعتها، واحترام الآخرين حتى الذين لا أخلاق لهم.
- واجبات غير كاملة أو مستحقة تجاه الآخرين، وهى تنمية أو تحقيق سعادتهم، وأن يكون الفرد كريماً تجاههم وأن يحبهم، وأن يعترف بالجميل، وأن يكون متعاطفاً، وأن يكون اجتماعياً.

إن « كانط » يميز بين نوعين من التربية الخلقية، تربية خلقية سلبية وتربية خلقية إيجابية، فالتربية الخلقية السلبية هى التى تقوم على قدر كبير من التأديب والتهذيب، واستخدام العقاب والقيود، والغرض منها منع تكوين الاستعدادات الخلقية السيئة، وتعويد الطفل الطاعة والخضوع.

أما التربية الخلقية الإيجابية فتعتمد على قواعد تستند على أساس عقلى أو منطقى يستطيع الطفل إدراكه وتتبعه، يرى من خلاله أن هذه القواعد يجب أن تصبح عاله، وبذلك يتحقق الوجه الأول للتربية الخلقية الإيجابية عن طريق وضع القواعد المبنية على التأمل الذاتى وممارستها، أما الوجه الثانى فهو اكتساب الاستعدادات الأخلاقية الفاضلة.

يتضح من ذلك أن التربية الأخلاقية ذات شقين: تدريس وتعلم ما هى واجباتنا، ثم غرس الاستعدادات لأداء الواجب بوحى من الواجب.

وفى هذه الحالة نلاحظ أن التربية الحديثة تدعو إلى إبعاد الطفل عن هذه المؤثرات الضارة، وتنادى بتنمية شخصيته بطريقة سوية لا يؤثر فيها الخيال المريض، وبالتالى فهى تطالب بفرض نوع من الرقابة على ما يلقى على مسامع الطفل من قصص حتى لا تنمو فى نفسه روح الخرافة اللا علمية، أو أحاسيس الرعب أو مبادئ الانحلال.

المعلم ودوره طبقاً للمثالية:

من الملاحظ أن المعلم مفتاح نجاح العملية التربوية، فشخصية المعلم تلعب دوراً هاماً، فهو النموذج أو المثال الذى يحتذيه الطفل، والذى غالباً ما يقوم بتقليده.

تهتم الفلسفة المثالية بالمعلم اهتماماً ملحوظاً، ومن الملاحظ أنها تعتقد أن المربى يهيئ البيئة الخاصة للطفل، وأن وظيفته فيها الإرشاد إلى الحقيقة، وقد اهتمت المثالية بالدور الذى يقوم به المربى (المعلم)، فيرى « أفلاطون » أن من واجب المربى محاولة توجيه ميول الأطفال ورغباتهم نحو هدفهم فى الحياة ومساعدتهم وإرشادهم أثناء ممارستهم لأوجه النشاط فى الروضة، وتوجيه نفس الطفل فى لعبه نحو حب ذلك الفن الذى يراد له إتقانه عندما يكبر.

وهكذا يساعد المربى بجهوده الطفل الذى ينمو بقوانين طبيعية لتصل إلى درجة الكمال لا يستطيع الوصول إليها لولا مساعدته.

ولما كانت الفلسفة المثالية ترى أن عقل الإنسان هو العامل الحاسم فى حياته، من هنا كانت مهمة المعلم توليد الأفكار والمعانى فيه، حيث أن هذه الأفكار والمعانى فطرية كامنة فى الإنسان.

ومـن هـذا المنطلـق يـرى بعـض المـربين أن دور المعلـم فـى الفلسـفة المثاليـة يتلخص فى ملء عقول التلاميذ بالحقائق والمعلومات الثابتة. حيث يقوم بتهيئة الجو المناسب ليعلمهم، ويجهز لهم البيئة المثلى للعيش والحياة ثم يأخذ بيدهم، ويرشدهم بنظرياته ودروسه إلى أقصى درجات الكمال الذاتى. فيحقق بذلك هدف التربية.

ولا يفهـم مـن ذلـك أن المعلـم يقـوم بإجبـار الأطفـال علـى تعليمهم معـارف معينة، وما يؤكد ذلك ما أشار إليه البعض إلى أن « أفلاطون » يرى أن دور المعلم لا يقـوم علـى فـرض العلـوم علـى الناشئ بوسـائل الضـغط الخـارجى، وإنمـا بتوجيـه الناشئ بالمناقشة والأسئلة التى تذكرها من نفسه.

والبعض يرى أن المعلم فى الفلسفة المثالية يستطيع مساعدة أطفاله مـــن خلال طرق ثلاث مميزة:

- يمكنه أن يساعدهم عن طريق ربط نفسه معهم عن طريق تركهم يفهمون أى نوع من الأفراد يحاول هو أن يكون، وسوف يتم هذا طوال مناقشة المشكلات المشتركة وحلها، وهكذا فإن شخصية المعلم سوف تؤثر فى الأطفال باستمرار.
- يؤكد المعلم دائماً أن حل المشكلة يتطلب مجهودات من جانب الذات، وأنه من خلال المجهودات تستطيع الذات أن تنمو، ومن ثم فلصالح النمو المتكامل للذات، فالمعلم فى المثالية يؤمن أكثر بالأسئلة، كما أنه يؤمن بقيادة الأطفال إلى الوصول إلى الحقائق بأنفسهم، وهذا هو جوهر الطريقة السقراطية التى تأثرت بها المثالية.
- يساعد المعلم الأطفال بواسطة إرشادهم لفهم أساسيات الطريقة العلمية والتحليل والتركيب أو التخليق، ويقودهم للتحقق من أن الكثير من المشكلات الصعبة، أو التى تبدو صعبة المنال عند أول وهلة يمكن حلها بسهولة عندما تقسم إلى أجزاء صغيرة.

ومن هنا يرى البعض، أن دور المعلم طبقاً للمثالية يتمثل فى:

- أنها تحدد دوراً خاصاً للمعلم.
- أنها تعتبر المعلم كموجه روحى للطفل.
- أنها تعتبر المعلم كشخص مثالى.
- أنها تعتبر المعلم كحارس للتراث الروحى الإنسانى.
- أنها تعتبر المعلم كصديق وموجه وفيلسوف.

ويرى البعض أن الفلسفة المثالية ترى أن دور المعلم يقتصر على مراقبة الأفعال لكى يأخذ لعبهم صورة قانونية أفضل، حيث إن الأطفال أثناء ممارستهم للعب الجماعى والذى يعتبره « أفلاطون » تجهيزاً للمواطنة، يستطيعون أن يخترعوا لعباً وألعاباً تفرضها عليهم طبيعتهم ذاتها فى صحبة بعضهم لبعض.

كما يرى البعض أن وظيفة المعلم أن يعمل على نمو الأطفال نمواً متكاملاً وتحقيق الذات أو تحقيق الصدق والجمال والفضيلة.

وهذا لا يتأتى إلا إذا اتصف المعلم بعدة صفات تساعده على تحقيق دوره، ولهذا فقد أشارت الفلسفة المثالية إلى بعض الصفات التى ينبغى توافرها فى المعلم، وذلك على النحو التالى:

- يجب أن يكون المعلم ممتازاً ليكون قدوة حسنة للتلميذ من الناحية العقلية والخلقية على السواء.
- يجب أن يكون ممتازاً فى المعرفة والبصيرة الإنسانية بحاجة وقدرات التلميذ.
- يجب أن يثبت تفوقه الأخلاقى فى معتقداته وفى سلوكه الشخصى.
- يجب أن يثبت مهاراته الابتكارية الفائقة فى إتاحة الفرصة لعقل التلميذ لكى يكتشف ويحلل ويركب ويطبق معلوماته فى حياته وسلوكه العملى.

يتضح من ذلك أن الفلسفة المثالية تعلى من قدر المعلم وشأنه، كما أنه تعلق عليه أهمية كبرى فى العملية التربوية ويحقق أهداف التربية.

المنهج عند المثالية:

نظرت المثالية إلى التربية على أنها تنمية الذات، ولهذا فإن انفعالات الفرد الاجتماعية والبيولوجية عندما تنمو ستكون أحسن نمو للذات، ولهذا يقول «باجلى» *Bagly* أن الهدف الرئيسى من التربية سيكون تلقين المثل الوظيفية للتوافق، وأن موضوع مادة التعلم سيكون تابعاً كله لهذا الهدف.

ولما كان الهدف ثابت من وجهة نظر الفلسفة المثالية، فإن المنهج ثابت وغير قابل للتطور، اعتماداً على أن المعرفة توصل إليها الحكماء، وبالتالى يمكن نقلها من جيل إلى جيل أنها ثابتة لا تتغير.

وإنطلاقاً من ذلك يلاحظ أن المنهج فى الفلسفة المثالية يتمركز حول المادة دون مراعاة للطفل وطبيعته واستعداداته، فمعظم اهتمام التربية موجه إلى اكتساب الطفل المعرفة والحقائق كهدف فى حد ذاته، فالتراث الثقافى رتب وبوب ونظم وبسط ووضع فى صورة مواد دراسية منفصلة حتى التى بينها علاقة كالتاريخ والجغرافيا.

ومن هنا يمكن القول أن منهج التربية فى الفلسفة المثالية يسير على مبدأ القديم على قدمه، ولذلك فإن الفلسفة المثالية لا يهمها حاضر الطفل أو مستقبله، ولكن يهمها المثل العليا ويهمها عالم الفكر، فهى تهتم بتجارب الجنس البشرى بأجمعه لا بتجارب الطفل، وهى تهتم بمجموع المعرفة الإنسانية، وتحاول أن تنظمها وتركزها وتقدمها للطفل، كما ترى أن هدف المدرسة هو أن تمثل المدينة كاملة فيها.

إذاً فإن التربية ترمى إلى تركيز وتنظيم الخبرة البشرية التى سيساهم الطفل فى استمرارها وتجديدها، وإنطلاقاً من ذلك نادى « سير برسى نن » بأن المنهج يجب أن يتمثل فيه مظاهر نشاط الإنسان وهى:

- مظاهر النشاط الاحتفاظى، التى من شأنها الاحتفاظ بالحالة الراهنة، وبمستويات الفرد والجماعة كالاهتمام بالصحة العامة، ورشاقة الجسم، والتقاليد، والنظام الاجتماعى، والأخلاق والدين.
- مظاهر النشاط الابتكارى، وهو النوع الذى نقيم عليه المدنية صرحها، ويشمل النشاط الإبداعى الذى يشمل الجانب المادى من الحضارة.

من هنا يرى المثاليون أن كل المواد الدراسية تكون فنوناً أساسية ودراستها ضرورية لأنها تلعب دوراً واضحاً مثل تنمية الإبداع والابتكار، وأن كل مادة دراسية يجب أن تزود بفرص كافية لتنمية الذات المفكرة، وأن تكون مناسبة للدراسة.

ولما كان « أفلاطون » يعتقد بأن الطفل يبدأ حياته فى عالم الحس والعواطف، لذلك كان يرى أن الأساطير والقصص والموسيقى والرياضة يجب أن تكون منهج المرحلة الأولى من التعليم، حيث أنها تغذى العواطف والخيال، وفى سن المراهقة يعطى الطفل شيئاً من العلوم، وهو يهتم بالرياضيات بصورة خاصة، ذلك لأن الرياضيات ترتفع بالإنسان من عالم المحسوسات إلى ما وراء المحسوسات، ولأنها تعرفه بخطأ المحسوسات، ثم أنها تعرفه بطريق الخير الذى هو طريق التعليم الصحيح والحياة.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول أن المنهج عند أفلاطون بصفة عامة قائم على مرحلتين:

أ - التربية عن طريق الفن، وهو ذو شقين:

- منهج الموسيقى.
- منهج التربية الرياضية.

ب- التربية عن طريق العلوم، ويقسم إلى:

- منهج الرياضيات والعلوم الطبيعية.
- منهج المنطق والفلسفة.

ولما كان « أفلاطون » يهتم بمرحلة الطفولة اهتماماً شديداً، حيث أنه يرى أن البداية هى أهم جانب فى كل عمل، ولاسيما إذا تعلق الأمر بكائن صغير رقيق، إذ أن ذلك هو العهد الذى تتكون فيه الشخصية، وينطبع ما نود إحداثه فيه من التأثيرات.

لهذا يرى « أفلاطون » أن المنهج فى مرحلة الطفولة من الضرورى أن يشتمل على القصص الصحيح الموثوق به مع تجنب الخرافات والخزعبلات والتى لابد أن تكون ممثلة للفضيلة وللصفات الحميدة.

كما اشترط فى القصص ألا تخلط فيها الحقيقة والخيال لأن الطفل لا يستطيع التمييز بينها.

ولهذا يقول « أفلاطون »: وعلينا بعد ذلك أن نكلف الأمهات والمرضعات بألا يروين للأطفال إلا ما سمحنا به، وأن يعنين بتشكيل أذهانهم بهذه الحكايات خيراً مما يعنين بتكوين أجسامهم بأيديهن.

وبالإضافة إلى القصص نادى أفلاطون باللعب- فى مرحلة الطفولة- باعتباره وسيلة للتسلية والتعليم وتنمية التفكير إلى الحد الذى يسمح فيه للأطفال بابتكار اللعب والألعاب المسلية، كما ربط اللعب بالنظام، ولهذا قال « أفلاطون » فى هذا الشأن المفروض أن تخضع ألعاب أطفالنا منذ الوهلة الأولى لنظام دقيق، إذ أنه لو خرج لهو الأطفال على النظام، لغدا من المستحيل عليهم أن يشبوا فيما بعد رجالاً يعرفون الواجب والفضيلة الصارمة.

كما وجه « أفلاطون » اهتمامه إلى الموسيقى فى هذه المرحلة، ويطلق « أفلاطون » لفظ الموسيقى على كل أبواب المعرفة اللازمة للثقافة العقلية، التى

تتسع فتشمل القراءة والكتابة والرياضيات الأولية وحفظ الشعر وترديده مصحوباً بالموسيقى.

ويتضح من ذلك أن « أفلاطون » اهتم فى مرحلة الطفولة بتعليم المواد التى تعنى بالروح والجسم. وهذا يتفق مع النظرة الثنائية للإنسان،وكانت وسيلته إلى ذلك الثقافة العقلية والتربية البدنية، ويرى البعض أن « أفلاطون » نصح بأن يكون البدء فى تعليم الهندسة والحساب مبكراً، ويحذر من الالتجاء إلى سياسة العنف فى تدريسها.

والملاحظ أن « أفلاطون » لم يقتصر على استخدام الموسيقى والتربية البدنية فى مرحلة الطفولة فقط، وإنما امتد اهتمامه إلى المراحل التالية بعد الطفولة،وهذا يتضح من اهتمامه الخاص بالتربية البدنية حيث أبرز مجموعة من الاتجاهات مثل:

- تحريم كل مسكر على الحكام، لأن الحاكم آخر شخص فى الدنيا يباح له أن يشرب فيفقد صوابه، ومن العار أن يحتاج الراعى إلى من يرعاه.
- الحرص على صحة الجسم، وسلامة أعضائه بنظام بسيط معتدل فى الطعام والشراب.
- الطب للوقاية وليس للعلاج الدائم.
- ممارسة التمرينات الرياضية والتدريب العسكرى للأطفال من الجنسين بلا تفرقة ولا حياء.

كما يرجع اهتمامه بالموسيقى لما لها من أثر عميق فى النفس. فالإيقاع والانسجام الموسيقى يصل إلى آفاق النفس، ويمتلكها بقوة ويجعلها رقيقة رشيقة.

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن المنهج عند المثالية يتسم بما يلى:

- يؤكد على طبيعة الطفل.
- يؤكد على القيم العليا مثل الصدق.
- يهيئ الإنسان لمكانة ممتازة.

- تحتل الأخلاق والدين والفنون مكانة هامة فى المنهج.

طرق التدريس من منظور المثالية :

ومن الملاحظ أن طرق التدريس فى الفلسفة المثالية تأثرت بنظرة الفلسفة المثالية لهدف التربية. فهناك طريقة تدريس مثلى، وهى التى انحدرت من الحكام وتناقلتها الأجيال، وهى تقوم على أساس تدريب الملكات العقلية وترويضها.

ويؤكد ذلك ما يراه البعض من أن طريقة التدريس عند المثالية تعتمد على أن المعرفة تنتزع من الفرد لا أن تسكب فيه، وأن عملية التعليم هى عملية استرجاع الأفكار الكامنة فى العقل من حالة النسيان إلى حالة الوعى.

فالمثالية تؤكد على الخبرة فى العملية التعليمية أكثر من تأكيدها على الحقائق، ومن ثم فإن التعلم بالنسبة إليها يعتبر تطوراً من الداخل، وتستثار الذات الأقل نضجاً عن طريق التفاعل فى الفصل للمشاركة فى الخبرة للذات الأكثر نضجاً، ومن هنا فإن الهدف الرئيسى للمدرس المثالى هو مساعدة التلميذ من أجل الحصول على استبصار أعمق أكثر مما يمتلكه.

من هنا يتضح أن عملية التعليم عند الفلسفة المثالية قائمة على التلقين وليس على اجتهاد المتعلم ونشاطه، وأن الكتاب المدرسى ذو مكانة مقدسة لأنه يحتوى على نتائج الأجداد وعصارة فكرهم.

ويرى البعض أن المثالية ترى أن طرق التدريس تتم عن طريق:

- التعليم من خلال القراءة.
- التعليم من خلال المحاضرة.
- التعليم من خلال التفكير.

وقد ترتب على طريقة التدريس التى كانت تدين بها الفلسفة المثالية أن أصبح أسلوب التعليم منصباً على النواحى النظرية وتدريب العقل، وصارت

المناهج مرتكزة على العلوم الفلسفية والمنطق والأدب والخطابة والجدل والمناظرة، بل حتى فى دراسة الحساب والهندسة كان الطابع النظرى هو الغالب والمسيطر، وهكذا اكتسبت العلوم العقلية مكانة رفيعة، وكان ذلك على حساب العلوم التطبيقية التى كان ينظر إليها نظرة دونيه.

ومن الملاحظ أن أفلاطون اهتم بطبيعة المتعلم وقدراته العقلية عند استخدامه طرق التدريس، ففى مرحلة الطفولة تخير « افلاطون » أسلوب القصص لتعليم الطفل فى بداية سنى حياته، وأكد أفلاطون على أن تخضع القصص لفحص واختيار قاسيين حتى لا تنمو فى روحه ونفسه الخرافة اللا علمية نتيجة القصص التى ترد على أسماعه.

كما نادى « أفلاطون » باستخدام الوسائل التعليمية لمساعدة الأطفال على تعليم الحساب كالقسمة، كما يقترح استخدام الألعاب واستخدام المعينات والمحسوسات، ويؤكد على قيمة اللعب الإيجابى فى تعلم الأطفال.

الثواب والعقاب من منظور المثالية :

من الملاحظ أن الفلسفة المثالية تؤمن بالثواب والعقاب كأسلوب للتربية، وتعتبر شيئاً واجباً لأنه يدرب ملكة الصبر عند الأطفال.

وإذا كانت المثالية تؤمن باستعمال العقاب البدنى من أجل تحقيق أهدافها، والمحافظة على النظام والهدوء فى الصف، لأنه يؤدى إلى تدريب ملكة الصبر والإرادة عند المتعلم، فإنها لا تؤمن بالطرق الحديثة فى الإرشاد والتوجيه، كما أنه لا تأخذ فى الاعتبار الظروف البيئية المحيطة.

إلا أن « أفلاطون » اقترح ألا يستخدم المربى القسوة مع أطفاله، وإنما يجب عليه أن يجعل التعليم يتسم باللهو بالنسبة للأطفال حتى لا يؤدى إلى كراهية التعليم وكراهية المدرسة.